

الاجتهاد والتجديد

في الفكر الإسلامي المعاصر

دراسات مهداة إلى المفكر

رضوان السيد

العدد
01
1434
2013



المملكة المغربية
الرابطة المحمدية للعلماء



هذا الكتاب

فمع إعلان الأستاذ السيد انتمائه للجيل الرابع، إلا أننا لن نجاوز الحقيقة، إذا ما استخلصنا من خلال عملية استقرائية لأهم أطروحاته ومقارباته المعرفية، أن التاريخ المفهومي والثقافي لديه يكاد لا ينفك عن حيثيات ومحددات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والمؤسسي، من خلال اهتمامه الخاص بمؤسسات الوقف، والحسبة، والقضاء..

فعلى امتداد رحلته المعرفية؛ من مدرسة المقاصد الابتدائية في قرية ترشيش بجبل لبنان ، إلى المعهد الديني، والكلية الشرعية التي كانت تعرف بأزهر لبنان ببيروت، إلى جامعة الأزهر بمصر، حيث برز نزوعه الفكري، من خلال اختياره للدراسة بكلية أصول الدين، التي عادة ما تعنى بالعقائد والفلسفة، وصولا إلى جامعة توبنغن بألمانيا، تشكلت المعالم الكبرى لشخصيته العالمة.

وهي المعالم التي سوف تزداد رسوخا ونضجا، على مستوى الرؤية، كما على مستوى المنهج، من خلال عمله أستاذا زائرا في عدد من الجامعات الأمريكية خلال الفترة الممتدة بين (1993 و2003)..

فمن خلال قراءاته في المناهج التاريخية، والأنثروبولوجية، ودراسات النص، تكونت لديه اهتمامات معرفية تجددت بتجدد تجاربه، في أصول الفقه الإسلامي، ودراسة النص القرآني، ونصوص الفقه السياسي الإسلامي؛ تحقيقا وتأويلا، وفلسفة الدين، إلى جانب الحركات «الإحيائية» المعاصرة. كل ذلك، انطلاقا من رؤية كلية؛ نقدية، مستوعبة، ومنفتحة للعالم.

الثمن: 80 درهما



ملامح المشروع الفكري لرضوان السيد من خلال مجلة "الاجتهاد"

-الاستشراق نموذجا-

د. محمد شهيد
الكلية المتعددة التخصصات/الناظور

تقديم

الأستاذ رضوان السيد باحث جد متميز، غزير الكتابة والتأليف، عميق الدراسة والتفكير.. يختار مواضيعه التي يكتب فيها بدقة متميزة. فلا يكتب في ما لا يفيد القارئ والمتابع للساحة الفكرية المعاصرة. فقد فرض مكانته ووجوده في الساحة الثقافية بجدارة واستحقاق.

فمن خلال متابعة ما يكتب وينشر يمكن للقارئ أن يلحظ التميز والنفس الطويل الذي يتحلى به الأستاذ. ويمكن أن يلمس الخيط الرابط بين جملة ما كتبه في الكتب والمجلات والدوريات وحتى في الصحف والجرائد. ومن ثم يمكن الحديث عن مشروع فكري للأستاذ رضوان السيد.

هذه الورقة تهتم بعرض جزء من هذا المشروع الرضواني الهام، لكن فقط من خلال مجلة "الاجتهاد"، عسى أن يتصدى للمشروع الرضواني الكبير أو العام انطلاقا مما كتب أو ما ألقاه من محاضرات أو خص به الإعلام من حوارات ومدارسات..

وعليه تحاول هذه الورقة عرض ملامح هذا المشروع من خلال المجلة باعتباره فاعلا رئيسا فيها، خصوصا وأنه كان يشغل فيها مهمة التحرير بالاشتراك مع الأستاذ

الفضل شلق. تنطلق الورقة مما كتبه الأستاذ في المجلة من أبحاث أو من عرض للكتب التي اختارها والمراجعة لها وتحاول اختيار أحد المحاور الهامة التي عالجها في المجلة يتعلق الأمر بمحور الاستشراق.. في محاولة للفت انتباه المفكرين والباحثين والطلاب لهذا المشروع الهام.

تميزت مرحلة الثمانينات من القرن الماضي ببروز عدد مهم من المنابر الفكرية، ساهمت بشكل فعال في تأسيس وبلورة نخبة من المفكرين والمثقفين في العالم العربي استطاعوا حمل راية الفكر والثقافة في الوطن العربي. هذه النخبة كان لها تأثير بالغ في تنوير العقل العربي من خلال الدراسات والبحوث التي كانت تنشرها في تلك المنابر المتميزة. كما أن هذه المجموعة من المثقفين تميزت أيضا بجرأتها وإقدامها على مباحث ومحاور فكرية وثقافية بعمق وجدية ناسبت الظرفية التي يعيشها العالم العربي.

إن الأستاذ رضوان السيد كان من الأوائل الذين ساهموا بشكل عميق وبارز في صنع هذه النخبة وتأسيس لبناتها الأولى، وذلك من خلال تبوئه مكانة الصدارة والطليعة في هذه الحقبة الحساسة من تاريخ الأمة، التي تميزت بازدياد مطامع الغرب المفتون بقوته في الوطن العربي والإسلامي: غزو لبنان وما شكله من صدمة وصحوة في نفس الحين، غزو أفغانستان وتعقيداته بين الشرق العربي والإسلامي والغرب قيام الثورة الإسلامية في إيران وما نتج عنها من إشكالات وتناقضات بين العالمين، دون إغفال القضية الفلسطينية ونكبتها في ظل الوضع العربي الهش..

في ظل هذه الأوضاع السياسية الاجتماعية الثقافية الاقتصادية المتشابكة والمعقدة كان الأستاذ رضوان السيد يؤدي دورا محوريا ومتميزا لا يستطيع تأديته إلا الرواد ولا يقوم به إلا أصحاب الرسائل والضمائر الحية.

لقد تصدى لهذه المهمة النبيلة الأستاذ رضوان بكل جدية وتفان من خلال المواضيع التي عالجها في دراساته ومؤلفاته الغزيرة والمتنوعة، حتى ليصعب على الباحث أو الدارس حشرها في تخصص معين من كثرة تشابكها وتشعبها في مواضيعها ومباحثها. فقد كتب "الأمة والجماعة والسلطة، دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي" وكتب "مفاهيم الجماعات في الإسلام" وكتب "الإسلام المعاصر" وكتب

كذلك "الجماعة والمجتمع والدولة: سلطة الإيديولوجيا في الفكر السياسي العربي الإسلامي" وكتب "سياسات الإسلام المعاصر: مراجعات ومتابعات" وكتب كذلك "جوانب من الدراسات الإسلامية الحديثة".. كما له أيضا ما لا يحصى من الدراسات والأبحاث المنشورة في عدد كبير من المجلات والدوريات..

من جانب آخر وللقيام بنفس الدور والمهمة التي تصدى لها الأستاذ رضوان السيد فقد تقلد مهام فكرية حساسة من خلال تحمله مسؤولية التحرير مرات متعددة وفي مجلات فكرية رائدة. وهكذا فقد سبق له أن كان رئيس التحرير في مجلة "الفكر العربي" التي كان يصدرها "معهد الإنماء العربي" في بيروت، كما سبق له أن شارك الأستاذ الفضل شلق في رئاسة تحرير مجلة "الاجتهاد" التي كانت تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، وهو الآن يشغل رئيس تحرير مجلة "التسامح" التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، وأصبحت حاليا باسم جديد هو "التفاهم". بالإضافة إلى ذلك فقد شارك في الهيئة الاستشارية لعدد من المجلات كما هو الحال في مجلة "الحوار" التي تحولت فيما بعد إلى مجلة "منبر الحوار".

كما أسهم الأستاذ رضوان السيد في عدد لا يحصى من المجلات العلمية المحكمة، فقد نشرت له مجلة "منبر الحوار" ومجلة "الفكر العربي" ومجلة "مستقبل العالم الإسلامي" ومجلة "الإنسان المعاصر"..

إذا استقرأ الباحث كتابات ودراسات وبحوث الأستاذ رضوان يصعب عليه تصنيفها في أي خانة من خانات التخصص التي يلحقه به، وتزداد هذه الصعوبة حين يعرف تكوين الأستاذ العلمي. كيف لا وهو الذي تحصل على الإجازة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من **جامعة توبنغن بألمانيا الاتحادية؟**

إن هذه الازدواجية في التكوين هي التي أعطت للأستاذ هذه الأصالة والتميز في أطروحاته. فهو على اطلاع مهم فيما يخص العلوم الشرعية، ثم على اطلاع على الفكر والفلسفة الغربية خصوصا من معينها وفي عقر دارها. هذا التنوع في التكوين الذي يجمع بين الثقافة الذاتية والثقافة الأخرى من النادر جدا أن تجده عند العدد

الكبير من المفكرين العرب خصوصا الحاليين وحتى عند من سبقهم. لذلك للأستاذ رضوان السيد خصوصيات فريدة تحيلك على الشخصية الموسوعية بالمعنى الإيجابية للمصطلح؛ أي الاطلاع الواسع المفيد على المعارف والعلوم والثقافات والتخصصات المتعددة.

هذا التنوع والتعدد في التكوين أيضا كانت له عدة مزايا أخرى، يبقى أهما بالإضافة إلى ما سبق، كون الأستاذ من أكبر المفكرين العرب المسلمين انفتاحا على كل الأفكار والثقافات والحضارات، يتعامل معها تعامل الواثق من فكره وثقافته وحضارته، فلا يعرف التشنج والتعصب في طرحه وأبحاثه ولا يشعر القارئ بأي نفحة من نفحات التشدد والتمسك بالرأي مهما كانت درجة صوابه ونسبة قربه من الحق.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مشروع المجلة أيضا ومن خلال صفحاتها، حيث يكتب فيها الليبرالي واليساري والإسلامي وكل الألوان الفكرية وتشارك فيها كل المناهج والأساليب التي يمكن أن تساهم في الملفات المقترحة للدراسة والبحث. ومما يزيد هذا الانفتاح والتنوع والتعدد قوة في انفتاحه استكتاب العديد من الكتاب الأجانب والمهتمين بالشأن العربي الإسلامي بلغات مختلفة وأجنبية تترجم إلى العربية.

فالقارئ للمجلة ومتتبعها يجد نفسه أمام تنوع كبير من حيث المناهج والأساليب في المحور الواحد أو الملف الواحد، مما يعطي للتحليل والدراسة تنوعا وغناء قل نظيره. وبهذا فمشروع الأستاذ رضوان يختلف عن كثير من المشاريع السائدة، وذلك لأنه مشروع تفاعلي حواري، حيث يمكن تسجيل العديد من التعقيبات من قبل الأستاذ على بعض الأبحاث وعلى بعض الدراسات، كما يمكن تسجيل ردود أخرى على ما يكتبه السيد في أبحاثه في المجلة خصوصا. هذه الخاصية التفاعلية في هذا المشروع من النادر جدا أن توجد في المشاريع الموجودة حاليا في الساحة الفكرية المعاصرة على الخصوص، وهذا ما أعطى لهذا المشروع الرضواني مصداقية أكثر وصار أكثر نضجا من غيره.

إن المشروع الرضواني موضع الرصد والعرض، توفرت فيه عناصر كثيرة ومتعددة، أعطته مصداقية وجدية وعمقا نادرا. هذه العناصر المتمثلة في تنوع مشاربه العلمية والثقافية، وانفتاحه على المناهج والتيارات الفكرية المتعددة ذات الثقافات واللغات والحضارات المختلفة، وبذلك فهو مشروع جدير بالاهتمام والبحث والدراسة.

لكن الذي يهم في هذا المقام، هو الاهتمامات الثقافية والفكرية أساسا للأستاذ رضوان السيد المنخرطة فعلا في مشروع علمي رصين يؤسس لرسالة حضارية في المجتمع العربي الإسلامي.

إن الكثير من المفكرين والمثقفين الذين يحترفون الكتابة والتأليف يكتبون في المجلات والدوريات وكل المنابر يؤكدون من خلال ذلك حضورهم وتواجدهم في الساحة الفكرية، لكن القليل منهم من لا يعيد و لا يكرر ما يكتب فقط يغير العناوين وينمقها. والقليل من هذا المتبقى من يكتب في إطار نسق أو في سياق معرفي منسجم. والقليل من هؤلاء من يختار لنفسه مشروعا يتعهده بالدراسة والبحث والتنقيب الجاد والمستمر. والقليل من هذا القليل من استطاع إتمام مشروعه الذي دعا له أو بشر به. والأستاذ رضوان من هؤلاء القلة القليلة الذين يكتبون ضمن سياقات فكرية متعددة ومنسجمة.

إن مشاريع الأستاذ رضوان كثيرة ومجالاتها متعددة وحقولها المعرفية متنوعة، إلا أن موضوع العرض والدراسة الآن يحتاج إلى نوع من الحصر والضبط في محاولة للإحاطة بالموضوع والسيطرة عليه. لذلك وقع الاختيار على المشروع الفكري للأستاذ رضوان السيد من خلال مجلة "الاجتهاد". لقد تطلب العمل في هذا المشروع، بالنسبة للأستاذ، ما يناهز جيلين من عمر المجلة المحدد في خمسة عشر سنة.

لقد توقفت المجلة منذ مدة، ولا غرو أن وراء ذلك أسبابا متعددة، لكن الذي يبدو أن المجلة وضعت حدا لمسيرتها بالنظر إلى نهاية مشروعها الذي خططت له ووضعت من أجله. استنفد المشروع وقته واكتمل نضجه. ومن ثم كان لابد من البحث عن آفاق أخرى واختيار مشروع آخر.

ذلك أن المفكر والمثقف المهتم بهموم أمته ومشاكل وطنه لا يسلمها لواقعها تتخبط فيه، بل لابد من أن يطرق الباب تلو الباب، والمشروع بعد الأخر..

لقد تناولت مجلة "الاجتهاد" ملفات كثيرة متنوعة. والمتابع لهذا الملفات والمحاور التي درستها المجلة وبحثتها لا يلمس فقط هذا التنوع بقدر ما يلاحظ الخط المرسوم ضمن المشروع الذي تتبناه. ففور نهاية كل عدد من المجلة يفاجأ القارئ بمحاور المجلة في الأعداد المقبلة اختيرت بعناية وانتقيت بدقة، حتى تتاح الفرصة الكاملة والمناسبة لينخرط الكتاب والمفكرون في الدراسات والأبحاث في تلك الملفات المقترحة، لتكون الدراسات في المستوى المطلوب.

وبالعود على مشروع الأستاذ رضوان السيد موضع الرصد والعرض، فإنه من اللازم استعراض أهم ملفاته ومحاوره التي انكبت المجلة وكتابها من دارسين وباحثين على معالجتها. ولاشك أن الأستاذ رضوان قد ساهم بفعالية في اختيارها وانتقائها. وهي محاور متنوعة تعكس تنوع واهتمام المفكر والباحث والمطلع في الواقع العربي الإسلامي التاريخي والمعاصر؛ إذ هي مجلة تعنى بالأساس وتختص في "قضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي".

وجدير بالذكر أن اختيار هذا التخصص المتعلق بقضايا الدين والمجتمع العربي الإسلامي والتجديد فيه هو اختيار دقيق لتخصص أدق.

لقد حددت المجلة المساحة الجغرافية التي تتحرك فيها، لتعالج مشاكلها وقضايا التجديد في الدين والمجتمع، في المساحة الممتدة على طول العالم العربي الإسلامي.

من جهة أخرى لا ينبغي نسيان أن المجلة أكاديمية في ملفاتها ودراساتها، ومن ثم فإن القراء والمتابعين للمجلة من الفئة المثقفة؛ أساتذة وطلاب وباحثين ودارسين. واستمرار المجلة في الصدور لا يكون دائما رهينا بالإمكانات المالية والمادية فقط، بل في الأساس في قدرتها على جلب انتباه واهتمام المفكرين والباحثين بالملفات والدراسات التي تنشرها، وكذلك بالكتاب والباحثين والدارسين أيضا الذين تستكتبهم المجلة.

وعلى كل حال نعود فيما يلي إلى بعض هذه المحاور والملفات التي عالجتها المجلة أو على الأقل أثارت الانتباه إلى أهميتها على امتداد مساحة زمنية فاقت خمسة عشرة سنة:

- إشكاليات الفكر العربي وإشكاليات النهوض: قضايا الثقافة العربية وأزماتها؛
- الاجتهاد والتجديد في المجال الحضاري العربي الإسلامي: هموم الحاضر والمستقبل؛
- الأسرة والمجتمع والدولة: دراسات في الاجتماع والفقه والأنثروبولوجيا؛
- الدولة العثمانية في الدراسات الحديثة: من الإمارة على الإمبراطورية؛
- الدولة العثمانية في الدراسات الحديثة: الإصلاح والتنظيمات ومصائر الدولة؛
- الدولة العثمانية في الدراسات الحديثة: التاريخ الثقافي والعلاقات الدولية؛
- الدولة العثمانية في الدراسات الحديثة: المجال العربي في السلطنة العثمانية؛
- الشريعة والفقه والدولة؛
- المثقف والسلطان في المجال الحضاري العربي الإسلامي؛
- تاريخ الإسلام وتاريخ العالم: الوعي والتاريخ في حضارة عالمية؛
- فكرة التاريخ والوعي التاريخي العربي؛
- من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا: نقد الاستشراق؛
- من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا:الصورة والرمز والآخر؛
- من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا: الدولة والمجتمع وصورة الإسلام؛
- الاجتهاد والتجديد في المجال الحضاري العربي الإسلامي كاتجاهات التجديد؛
- البداوة والتحضر في المجال الثقافي العربي؛
- التجديد الديني والثقافي بين التقدم والتحديث؛
- التوحد والانقسام والاستيعاب في المجال الحضاري العربي الإسلامي؛
- الحوار المسيحي-الإسلامي والعلاقات الإسلامية-المسيحية؛
- السلطة: الفكرة والبنية في المجال الحضاري العربي الإسلامي؛

- العلاقات الإسلامية-المسيحية في العصر الحديث؛
- العلاقات المسيحية-الإسلامية: ثقافة الصراع وثقافة الحياة؛
- فكرة التاريخ والوعي التاريخي العربي؛
- فكرة الدولة وبنية الدولة في المجال السياسي العربي الإسلامي؛
- مسألة الحضارة والعلاقات بين الحضارات: دراسات في الرؤى وأبعاد المأزق العربي الإسلامي.

إن الانطباع الأول حول هذه الملفات المعروضة التي تعهدتها "الاجتهاد" بالدراسة والبحث هو التنوع داخل الحقل المحدد سلفا من قبل المجلة؛ أي التجديد للدين والمجتمع في العالم العربي الإسلامي. فهو وإن اهتم بالشأن الداخلي الخاص للأمة الإسلامية المتعلق بالشريعة والفقه الإسلامي، لما لهما من أهمية داخل الثقافة والتراث والحضارة الذاتية الخاصة، فإن هذا العدد قد انفتح على تيارات ومناهج متنوعة تعالج قضايا داخلية للأمة الإسلامية. والواقع أن حضور الأستاذ رضوان السيد كان فعالا في هذا العدد: "الشريعة والفقه والدولة" وذلك بتأكيد انفتاحه الفكري والثقافي من خلال "استدعائه" لاثنين من الغربيين للكتابة في العدد من خلال قيامه شخصيا بترجمة بحثين: "الدين والدولة والتطورات المبكرة في الاجتماع الإسلامي الوسيط" لـ"ايرا لابيدوس" ثم "الشريعة والقانون في العصر العثماني" لـ "ريتشارد رب". ولم يقتصر الأمر على هذا، بل ساهم أيضا ببحث من صميم الملف: "التدوين والفقه والدولة: نظرات في نشوء الفقه الإسلامي"، كما ساهم بمراجعة كتاب يعالج قضية بالغة الأهمية في الفقه والفكر الإسلاميين: "خلافة الله" لمؤلفيه "باتريشيا كرونه" و"مارتن هاندز".

من جهة أخرى فقد تناول الأستاذ رضوان جوانب متعددة تخص الوضع العربي الإسلامي السابق والحالي؛ **فقد كتب في بعض المجالات الشرعية أو القريبة منها:**

- التدوين والفقه والدولة: نظرات في نشوء الفقه الإسلامي، الاجتهاد، العدد 2.
- الدار والهجرة وأحكامها عند ابن المرتضى: دراسة في ظهور المسألة وتطورها عند الزيدية، الاجتهاد، العدد 12.

- الشافعي والرسالة: دراسة في تكون النظام الفقهي في الإسلام، الاجتهاد، العدد 9.

- الفكر الإسلامي والحريات الدينية، الاجتهاد، العدد 30.

كما كتب في مجال حساس كان من السباقين إليه:

- إشكالية التوحد والانقسام في المجال العربي الإسلامي، الاجتهاد، العدد 19.

وهذا من المواضيع التي لم يتناولها إلا القلائل من المفكرين العرب والمسلمين؛ إذ كان من المواضيع المغيبة عن النقاش والبحث والدراسات في واقع كان كل انقساما وتجزئة في العالم العربي إبان الاستعمار وإبان ما سمي بفترة الاستقلال الممتدة إلى الآن.

وكتب كذلك في التاريخ:

- العثمانيون والدراسات الحديثة، الاجتهاد، العدد:41-42.
- العرب والعثمانيون، الاجتهاد، العدد: 44.
- إشكالية التأريخ للعثمانيين، الاجتهاد، العدد: 43.
- التاريخ والاستحالة في التحولات التاريخية وفي الوعي بها (1)، الاجتهاد: العدد 24.
- التاريخ والاستحالة في التحولات التاريخية وفي الوعي بها(2)، الاجتهاد: 25.

وكتب في الفكر السياسي الإسلامي:

- مسألة الشورى والنزوع الإمبراطوري في ضوء التجربة التاريخية للأمة، الاجتهاد، العدد: 25.

- رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام، الاجتهاد، العدد:13.

وكتب كذلك فيما يخص العلاقات المعقدة بين العلاقات الإسلامية المسيحية:

- الحوار المسيحي الإسلامي والعلاقات الإسلامية-المسيحية، الاجتهاد، العدد:31-32.

- العلاقات الإسلامية المسيحية واستدعاء الصور التاريخية، الاجتهاد، العدد: 29.

- العلاقات الإسلامية المسيحية: ثقافة الجدل وثقافة الحياة، الاجتهاد، العدد: 28.

وكتب في المسألة الحضارية والتراثية:

- الكاتب والسلطان: دراسة في نشوء كاتب الديوان في الدولة الإسلامية، الاجتهاد، العدد4.

- المسألة الحضارية ومظاهر المأزق العربي الإسلامي، الاجتهاد، العدد: 52-53.

- حضور التراث العربي في كتابات الطهطاوي: الوظائف والدلالات، الاجتهاد، العدد55-56.

وكتب أيضا في الفكر الإحيائي:

- خطاب التجديد والتغيير والاستضعاف، الاجتهاد، العدد:59-60.

وكتب في دراسة الواقع المعاصر وفهمه:

- الأنثروبولوجيا والتاريخ الاستشراق، الاجتهاد، العدد: 47-48.

- الاستشراق والأنثروبولوجيا، الاجتهاد، العدد: 49.

- من الاختلاف إلى الصراع: الخطابات الأمريكية والعربية بعد 11 سبتمبر، الاجتهاد، العدد: 54.

- نقد الاستشراق، الاجتهاد، العدد:51.

- هل يصلح شعار "الحرب العادلة" لتشكيل مجال مشترك للحوار والتضامن؟ الاجتهاد، العدد:54.

إن قلم الأستاذ رضوان لا يكاد يتوقف على امتداد مسيرة مجلة "الاجتهاد" الطويلة، وإسهاماته جد متميزة بأبحاث ذات أهمية أكبرى، ودراسات تبرز قيمة هذا

المشروع المتميز. لقد اهتم بالتراث العربي الإسلامي فكتب "التدوين والفقه والدولة: نظرات في نشوء الفقه الإسلامي" و"الشافعي والرسالة: دراسة في تكون النظام الفقهي في الإسلام" و"الدار والهجرة وأحكامها عند ابن المرتضى: دراسة في ظهور المسألة وتطورها عند الزيدية"..

واهتم كذلك بالفكر السياسي فكتب "مسألة الشورى والنزوع الإمبراطوري في ضوء التجربة التاريخية للأمة" و"رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام".. في إشارة منه إلى أن للمكون السياسي في مشروعه دور وأهمية بالغة وإن كان يؤمن بأنه ليس هو كل شيء في المشروع..

كما تناول قضية التجزئة في العالم العربي الإسلامي حين كتب "إشكالية التوحد والانقسام في المجال العربي الإسلامي"، ليعالج قضية مهمة أرقت العرب والمسلمين لمدة طويلة، وكان من القلائل الذي عالجوا هذه المعضلة في الفكر الإسلامي المعاصر..

ثم تناول قضية الطائفية فكتب "الحوار المسيحي الإسلامي والعلاقات الإسلامية-المسيحية" و"العلاقات الإسلامية المسيحية واستدعاء الصور التاريخية" و"العلاقات الإسلامية المسيحية، ثقافة الجدل وثقافة الحياة".. وذلك لأنه ابن لبنان الذي عانى ولازال من هذه المعضلة الكبيرة، وكذلك لما للمكون المسيحي من دور مهم في المنطقة والتاريخ والوضع المعاصر

لم يغفل الأستاذ رضوان الجانب التاريخي ودراسته فكتب "العثمانيون والدراسات الحديثة" و"العرب والعثمانيون" و"إشكالية التأريخ للعثمانيين" و"التاريخ والاستحالة في التحولات التاريخية وفي الوعي بها"..

كما كان للاستشراق مكانته أيضا فتناوله في أبحاث ودراسات كثيرة منها "الأنثروبولوجيا والتاريخ الاستشراق" و"الاستشراق والأنثروبولوجيا" و"نقد الاستشراق"..

من جانب آخر وفي إطار المشروع الرضواني في مجلة "الاجتهاد"، لا ينبغي إغفال أو نسيان الكتب التي راجعها أو درسها أو انتقدها أو.. المهم هنا طبيعة الكتب التي انتقاها الأستاذ رضوان تماشيا مع الموضوع المقترح من قبل المجلة، وكذلك تماشيا مع اختياراته وقناعاته الفكرية والعلمية الدقيقة. ذلك أنه من الصعوبة بمكان الشعور بان للرجل إيديولوجيا يحاول فرضها على القارئ.

لقد اختار الأستاذ رضوان السيد هذه الكتب بشكل دقيق من مثل:

- الإسلام السياسي، لنزيه الأيوبي: الاجتهاد، العدد: 21.
- الإسلام والنهوض الأسيوي، لأنور إبراهيم: الاجتهاد، العدد: 37.
- التجار الهنود، والتجارة الأوراسية 1600-1750، لستيفن فريديريك دايل، الاجتهاد، العدد: 36.
- التطور الديني في المغرب وأندونيسيا، لكليفورد غيرتز، الاجتهاد، العدد: 50- 51.
- القوة البحرية العثمانية، ودبلوماسية المتوسط في عصر الكشوفات الجغرافية، لباليرا بروميت، الاجتهاد، العدد: 26-27.
- تطور اللاهوت البروتستانتي في القرن العشرين، لكلاوس هوك، الاجتهاد، العدد: 30.
- نهايات الدولة المملوكية، لكارل بتري: الاجتهاد، العدد: 25.
- التجارة البحرية العربية في المحيط الهندي في العصور القديمة والوسطى، لجورج فضلو حوراني، الاجتهاد، العدد: 36.
- التهديد الإسلامي: وهم أم حقيقة؟ لجون أسبوزيتو، الاجتهاد، العدد:21.
- اللغة السياسية في الإسلام، برنارد لويس، الاجتهاد، العدد:13.
- خلافة الله، لباتريشيا كرونه ومارتن هايندز، الاجتهاد، العدد:2.
- سراج الملوك، للطرطوشي، الاجتهاد، العدد: 12.

هذه بعض الكتب التي عرضها الأستاذ رضوان، أو راجعها، أو أعد فيها قراءة للمجلة ولقرائها. وهي تعكس دقة اختيار الأستاذ، كما تعكس كذلك سعة اطلاعه وتنوع ثقافته. ومن بين هذه الكتب من ألف من قبل غير العرب، أي كتبه غربيون يهتمون بالعالم العربي الإسلامي وثقافته، كما هو الحال مع كتاب "خلافة الله" و"اللغة السياسية في الإسلام" و"التهديد الإسلامي: وهم أم حقيقة؟" و"نهايات الدولة المملوكية"..

كما لا تهمل هذه المهمة، مهمة عرض الكتاب أو قراءته، النهل من التراث العربي الإسلامي، حين يعرض بعض هذه الكتب كـ "سراج الملوك" للطرطوشي و"خلافة الله" للكاتبين لباتريشيا كرونه ومارتن هايندز و"نهايات الدولة المملوكية" لكارل بتري.. وفي ذلك من الإشارات ما يوحي إلى أهمية هذا المكون الهام من مكونات الثقافة العربية الإسلامية والحضارة الإنسانية جمعاء، باعتبار التراث الإسلامي من روافد التراث الإنساني.

بالإضافة إلى ذلك فإن هموم الأمة تظل حاضرة في انشغالات الأستاذ، فلا ينسى معالجتها، فيعرض في هذا الإطار لبعض المؤلفات كـ"التهديد الإسلامي: وهم أم حقيقة؟" لجون أسبوزيتو و"الإسلام والنهوض الأسيوي" لأنور إبراهيم و"التطور الديني في المغرب وأندونيسيا" لكليفورد غيرتز..

فالأستاذ بهذا الاهتمام الواسع يرسل إشارات ورسائل للقراء كثيرة ومتنوعة، من أهمها أن التراث العربي الإسلامي لا غنى عنه لقراءة مشاكل الأمة والبحث عن البديل، وكذلك النهوض والخروج من الأزمة يتطلب الانفتاح على الثقافات الأخرى والتجارب الحضارية عند الآخرين، ووعيا منه أن المثقف المسؤول الرسالي هو الذي لا يترك أمته تتخبط في أزماتها، بل ينخرط بفكره وقلمه واجتهاده لمساعدتها على الانفلات والتحرر من قيود التخلف والانقسام.

هكذا يتضح أن الأستاذ رضوان السيد طرح في مجلة "الاجتهاد" مشروعا متكاملا انطلاقا من التاريخ والتراث بدراسته، ومرورا بالاهتمام بالواقع بكل مكوناته وتلويناته الإثنية والسياسية والفكرية، ووصولا إلى التطلع إلى المستقبل واستشرافه.

ولإعطاء صورة عن هذا المشروع الرائد للأستاذ رضوان السيد فيما يلي عرض موجز لجزء من هذا المشروع، وقد وقع الاختيار على الاستشراق؛ لأن هذا الموضوع يمكن أن يلمس فيه الباحث أو القارئ الأبعاد الزمنية الثلاثة؛ إذ فيه اهتمام بالماضي ودراسة للواقع واستشراف للمستقبل. ذلك ما حاوله الأستاذ رضوان. وقد كان موفقا في ذلك إلى أبعد الحدود، حين درس هذا الموضوع المهم الذي هو في الأساس موضوع تاريخي أو على الأقل كما يتوهم كثيرون. ثم تناوله من حيث نظرة "الاستشراق" للعالم العربي الإسلامي ومناهجه وأساليبه واهتماماته. وكذلك مستقبله وآفاقه.

إن الأستاذ رضوان حاضرا بإسهاماته الفكرية الناضجة، كالعادة سواء من خلال كتابة الافتتاحية أو من خلال أبحاث متميزة تأثث مع باقي الباحثين مواد العدد. وفيما يخص الاستشراق فقد كان انتقاء محاور هذا الموضوع بعناية فائقة ولربما كان للأستاذ رضوان السيد يد طولى فيه. فقد تناول هذا المحور من خلال المحاور تحت عنوان: "من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا: الدولة والمجتمع وصورة الإسلام"، ثم "من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا: الصورة والرمز"، و"من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا: نقد الاستشراق".

إن الاستشراق في نظر الأستاذ رضوان يتحدد في ذلك "العلم أو التخصص أو الاهتمام الدراسي المعني بتأمل الشرق العربي والإسلامي من جانب الدارسين الغربيين[1]". هذا الاهتمام أو هذا التخصص كان يهدف في خطه العم الوصول إلى ما سماه الأستاذ: "احتضان الشرق". فيجعلك بهذا التعريف وهذا الهدف تتوقف طويلا وتراجع أقوالك حتى لا تندفع الاندفاع المعهود في الفكر الإسلامي لكيل الاتهام إلى الاستشراق وكل ما جاء به المستشرقون؛ إذ يصرح بذلك وبدون لبس حين يؤكد اختلافه مع إدوارد سعيد في اعتبار "التوظيف الاستعماري" هو الأهم في قضية الاستشراق[2].

وليس الغرض من التعرف على الاستشراق ودراسته والاهتمام به "العودة لإدانة الاستشراق أو تقريظه، بل استطلاع المقاربات الأخرى للدراسات العربية

1. **الاستشراق والأنثروبولوجيا**، الاجتهاد ع49، ص5.
2. المرجع نفسه، ص6.

والإسلامية، والدراسات حول العرب والإسلام في الحاضر، والمستقبل الحافل بالرؤى والاحتمالات[1]". وهذه من أهم ميزات السيد الذي يشعرك بالتروي والتأمل العميق في المفاهيم ومعالجة كثير من القضايا والظواهر.

إن علاقة الاستشراق بالشرق ودراسته تتشكل أساسا من كونه ".. التخصص الذي يملك وحده وبمفرده الأدوات التي بها إدراك هذا المجال الخاص وتفهمه أو تملكه..".

غير أن الاستشراق في مراحله المتأخرة، خصوصا في النصف الأول من القرن العشرين، عانى من تحديات وصعوبات حيث تعرض لعدة أنواع وأشكال من الضغوط، يمكن تحديدها، أو بالأحرى حددها الأستاذ رضوان السيد في ما يلي:

التحدي الأول: تحدي التطورية التاريخية والاجتماعية، والذي جاء أصلا من جهة تطبيقات الداروينية في المجال التاريخي والاجتماعي، كما أتى من جانب الماركسية من خلال مراحلها المحددة في الأربع خطوات الشهيرة في التطور الاقتصادي. ومن ثم القول باستحالة فصل وتمييز الشرق عن تاريخ العالم. لذلك لجأ العديد من المستشرقين، في محاولة منهم لصد والوقوف في وجه هذه العالمية التطورية، إلى الأنثروبولوجيا، ثم إلى النقد الاستشراقي. هذا المسلك وظفوا فيه مقولة "الأنثروبولوجيا الثقافية" المعتمدة أساسا على الانطلاق من ".. وجود مجالات ثقافية وحضارية متمايزة في العالم، لكل منهما بناه الخاصة وآليات اشتغاله الخاصة، ومن ضمنها ثقافة الشرق أو الإسلام وحضارته[2]."

التحدي الثاني: هو الذي سمي بـ"لاهوت الأديان" وهو الذي من خلاله ينكر اللاهوتيون البروتستانت والكاثوليك على الإسلام، وعلى الديانات الأخرى كونه دينا فلا يعترفون له بـ"دينيته"، لكن دون أن يرون نفس الرأي مع المسيحية واليهودية. وذلك في زعمهم لأن الإسلام لا تتوفر فيه عناصر الدين كلا أو جزءا. وحين ظهرت نظريات الدين بين منتصف القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين حُددت

---

1. نقد الاستشراق، الاجتهاد، ع50-51، ص7.

2. الاستشراق والأنثروبولوجيا، الاجتهاد، م، س، ص6.

العناصر المكونة للدين. إلا أن هذا التحديد لم يتسم بالنظرة الموضوعية وذلك لأن أغلب المستشرقين كانوا من الكاثوليك والبروتستانت، أو ممن سبق لهم الاشتغال بعلوم الدين.

هذا التحدي الجديد، تحدي لاهوت الأديان، دفع العديدين إلى إعادة النظر في موقفهم من الإسلام باعتباره منظومة متماسكة من العقائد والشعائر والطقوس والممارسات وأنماط الحياة، وليس مجموعات غير متماسكة من المواريث اليهودية والمسيحية والوثنية[1].

التحدي الثالث: إنه تحدي التاريخ الحضاري في مواجهة القول بالحقائق الثابتة. ذلك أن دراسات وآثار التاريخ الشرقي القديم قد زعزعت "مقولات التفوق والتقدم اليوناني والروماني. وقد اضطر لذلك المستشرقين وفلاسفة الحضارة إلى إدخال الأحقاب العربية/ الإسلامية ضمن تاريخ الشرق، ثم ضمن التاريخ العالمي. كما اضطر بعضهم الآخر لاعتبار أنفسهم مؤرخين مختصين بالتاريخ الإسلامي، وليسوا أناسا من نوع خاص، يتملكون وحدهم مجالا خاصا[2]."

لكن الأزمة الحقيقية التي عرفها الاستشراق هي التي وقعت في النصف الثاني من القرن العشرين، ومثلت ردة فعل على أمرين اثنين:

1. **ازدهار نقد العلوم**؛ ذلك أن بعد الحرب العالمية الثانية، أفضت المتغيرات في العلوم الإنسانية إلى القول بتصور جديد للمجتمعات وبناها الداخلية وعلائقها بالدولة، وإلى تصور جديد للعلوم من حيث إمكانية استيعاب المجال الذي تتحرك فيه كما الآليات والوسائل المستعملة في ذلك المجال[3].

2. **نقد الاستعمار**؛ والوصول إلى نتائج ومقولات تشكك في نزاهة وحيادية جملة تخصصات من قبيل الاستشراق والأنثروبولوجيا، بل حتى في موضوعيتها. حيث

---

1. المرجع نفسه، ص6-7.
2. المرجع نفسه، ص7.
3. المرجع نفسه.

بدأ يظهر عجزها البين في فهم وإدراك حقلها المعرفي بنفس الآليات والوسائل التي سلكتها واستعملتها على امتداد قرن ونصف[1].

ونتيجة لذلك، ومنذ ستينيات القرن العشرين، أصبح الكلام عن علم اسمه الاستشراق أو عنوانه الاستشراق غير مستحسن. حتى أن المستشرق الألماني هانس رومر المتخصص في التاريخ الإسلامي يصر، كما يقول الأستاذ رضوان السيد في محاوراتهم له، على استعمال مصطلح بديل: "علم الإسلام[2]".

لكن الأستاذ رضوان ينبهنا إلى ظاهرتين لا يمكن تجاهلهما، ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين:

1. تواصل عملية إنتاج الدراسات والأبحاث التي تهتم بالإسلام وثقافته وحضارته. وذلك في أوروبا وأمريكا واليابان. ويفسر الأستاذ هذه الظاهرة مؤكدا أنها تندرج ضمن الرؤى الجديدة للثقافات العالمية والعلاقات فيما بينها، وأبعاد الذاتية والشمولية في كل منها وهي قابلة للقبول والرفض والنقد مثلها مثل أي دراسة في أي حضارة تاريخية[3].

2. ظهور جيل جديد من الباحثين يقارب المجال الحضاري للعالم العربي والإسلامي من وجهة نظر تاريخية أو سوسيولوجية أو أنثروبولوجية، وهذا الجيل الجديد لا يهدف إلى تغيير مجالنا بقدر ما يهدف إلى فهمه وتفسيره. هذه الظاهرة ارتبطت مع ماكس فيبر وتطورت مع غلنر وغيرتز وأيكلمان وجيليسنان.. ثم يحدد أيضا موقفه من هذه الظاهرة، فيراها طبيعية وتدل على تضاؤل نفوذ الاستشراق التقليدي[4].

تعرضت مقاربات الدارسين والسياسيين الفرنسيين والبريطانيين للمجتمعات الإسلامية وتقاليدها لانتقادات من قبل الإصلاحيين المسلمين في العالم العربي

---

1. المرجع نفسه، ص8.
2. المرجع نفسه.
3. المرجع نفسه.
4. المرجع نفسه.

خصوصا مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين ورشيد رضا.. كما تعرضت لانتقاد مماثل من قبل المثقفين الهنود والأتراك..

ولقد كان الناقدون المسلمون يرون أن تلك الرؤى ترمي وتهدف إلى أمرين اثنين: "كسر مقاومة المجتمعات الإسلامية للاستعمار؛ بحجة أنها تتسم بالهمجية وبالقروسطية، وتسويغ السيطرة الأوروبية باعتبار أنها تحمل رسالة الرجل البيض في المدنية والتقدم[1]."

ومع ذلك، لابد من الإشارة إلى أنه في الربع الأول من القرن العشرين كان للاستشراق والمستشرقين علاقة متميزة بالعالم العربي والعالم الإسلامي تمثلت فيما يلي:

- استفادة الإصلاحيين المسلمين، في تركيا وبلاد الشام، مما توصل إليه المستشرقون فيما يتعلق بنشر النصوص العربية القديمة وتحقيقها؛
- استفادتهم من الدراسات التي قام بها المستشرقون عن الإسلام وعن المسلمين؛
- استفادتهم من بعث شبابهم وأبنائهم للتعلم والدراسة عند المستشرقين؛
- استفادتهم من جلب البارزين من المستشرقين للتدريس في المعاهد والجامعات الجديدة.

غير أن الاستشراق والمستشرقين إلى سيل من النقد حين اتهموا بالتعاطي إلى التبشير وممارسة التنصير في العالم الإسلامي. كما اتهموا كذلك بتأييد الاستعمار ومناصرته والتعاون معه.[2] إلا أنه في النصف الأول من القرن العشرين، ومع بروز الحركات الإحيائية وازدياد تدهور العلاقة مع الغرب وثقافته، دخل الاستشراق تدريجيا في علاقة توتر مع الشرق. ومن ثم ".. تقلص الاهتمام بقراءة التطورات المنهجية الجديدة في الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية، كما يبدو ذلك في قراءات عمر فروخ ومصطفى السباعي ومحمد البهي[3]"، وفي المقابل، فإن

1. المرجع نفسه، ص5.
2. **نقد الاستشراق**، الاجتهاد، ع:50-51، ص5.
3. المرجع نفسه، ص6.

بعض الدراسات عن الاستشراق كدراسات أنور عبد الملك وعبد الله العروي في الستينات، وكذلك دراسة إدوارد سعيد أواخر السبعينات، لا تنحو نفس المنحى في نقد الاستشراق الذي نحته مدرسة الحركة الإحيائية، حيث يمكن تصنيف هذه الدراسات ضمن دراسات نقد الثقافة الاستعمارية والإمبريالية[1].

أما في الثلث الأخير من القرن العشرين فإن النقد الإحيائي للاستشراق قد تحول في الحقيقة إلى نقد للغرب والتغريب في المجتمعات العربية، وذلك راجع بالأساس إلى تصاعد نزعة معاداة التغريب والغزو الثقافي الذي عرفه العالم العربي والإسلامي.

إن القول والزعم بأن انكسار الاستشراق وتراجعه كان بسبب حملة إدوارد سعيد، كما يرى دارسون، لا يتفق معه الأستاذ رضوان؛ إذ يرى أن الفاعل الأساس هنا هو الثورة في الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية وحدة النقد الموجه إلى التاريخانية التي ظلت تسود الاستشراق حتى مطلع الثمانينات، وتفاقم هذا الفشل فيما عرف بالاستشراق الجديد الذي تجرأ على مقدسات المسلمين وجاء بقراءات ناقضة للقرآن الكريم والسيرة النبوية[2].

لقد تزايد الاهتمام، في الفترات المتأخرة بالدراسات والأبحاث التي تُعنى بالقضايا التي تهم وتمس العالم العربي والإسلامي من منظور انثروبولوجي هذه المناهج تنتج العديد من الدراسات يكون من اللازم علينا الاطلاع عليها من باب "اعرف عدوك" كما يرى الأستاذ أبو بكر باقادر أثناء التنويه به من قبل الأستاذ رضوان في تعاونه مع مجلة "الاجتهاد" لإعداد ملفات حول الاستشراق والأنثربولوجيا. غير أنها ومن جانب آخر تمثل بديلا مهما للانفلات من قيد الإيديلوجيات والأنماط الموروثة في الرؤية الغربية للشرق[3].

إن أساتذة الأنثربولوجيا العرب السابقين والحاليين على وعي وإدراك بالترابط العميق بين والأنثربولوجيا والاستعمار، بما يزيد بدرجات على ارتباط أو تبعية

---

1. المرجع نفسه.
2. المرجع نفسه،
3. الأنثربولوجيا والتاريخ الاستشراق، م، س، ص5.

المستشرقين، وهم إذ يعتبرون الأنثربولوجيا بديلا؛ وذلك لأنها في نظرهم "علمية" أو "ميدانية" أكثر، وكذلك لارتباطها أكثر بالسوسيولوجيا الوضعية التي لا تسمح بالتجذير الإيديلوجي أو بتخليد الصور النمطية المتوارثة[1].

والأستاذ رضوان وزملاؤه في مجلة "الاجتهاد" خصصوا عددين، هما العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون، لعرض بعض نتائج الأنثربولوجيا، وهم يرمون إلى تحقيق نتيجتين هامتين جدا من الناحية المنهجية والعلمية:

الأولى: إن توظيف المنهج الأنثربولوجي وتسخيره في الدراسات الاستشراقية، وأيضا في قراءة مشكلاتنا المعاصرة لا يعني، بأي حال من الأحوال، أنه أفضل من التاريخانية الاستشراقية أو أسوأ منها، الأمر الذي يقتضي تمحيصه والتحقيق من مدى قدرته على الكشف والفهم والتفسير[2].

يقتضي "تفحص الأطروحات التأسيسية لهذا النهج في ضوء قراءات أخرى (غير استشراقية) للتاريخ، وفي ضوء الأعمال الجديدة والمناهج الجديدة لسوسيولوجيا الفكر، وسوسيولوجيا الحركات الدينية والثقافية والسياسية[3]". وفي هذا الإطار يخالف رضوان أبو بكر با قادر الذي يرى أن الأنثروبولوجيون يحسون بالأمن ويشعرون بالطمأنينة بين التاريخ والسوسيولوجيا، ذلك أن "هم الانثروبولوجي البحث عن دثائر الماضي المحددة للشخصية أو للقوام الأنثروبولوجي للجماعة في الماضي والحاضر[4]."

الثانية: "متابعة ومراقبة الانتقال الغربي في دراسة قضايا العالمين العربي والإسلامي؛ من التاريخانية والاستشراق إلى الأنثروبولوجيات والقراءات الثقافية والحضارية[5]" والحقيقة كما يرى الأستاذ أن هذا النهج في القراءة وفي التفسير لم يتم توظيفه وتسخيره في دراسة التراث والمجال الحضاري الإسلامي فقط، وإنما تم

1. المرجع نفسه، ص5 و6.
2. المرجع نفسه، ص6.
3. المرجع نفسه.
4. المرجع نفسه.
5. المرجع نفسه، ص7.

استخدامه في دراسة قضايا وظواهر أخرى لا تنتمي إلى المجال الحضاري الإسلامي، كما لا تنتمي إلى الحضارة الغربية بالمعنى المشهور لمصطلح الغرب.

كما أن الفرق بين المنهج الأنثروبولوجي في دراسته لبعض الشعوب كالصين أو الهند، ودراسته للعالم الإسلامي، يتمثل في أن الأنثروبولوجيا في الصين ترى أنها تسهم وتشارك في فهم واستيعاب أكثر للصينيين وتاريخهم وواقعهم، بينما تنوب في العالم الإسلامي وتعوض علم الاستشراق الذي أصبح عاجزا عن الإحاطة بتفسير جوانب أساسية من هذه الحضارة[1].

إن الاستشراق بدأ يفقد سطوته القديمة التي كانت تمتد إلى حدود الستينات من القرن العشرين؛ ذلك أن التاريخانية التي تأسس عليها تكاد تستنفد أغراضها. ولذلك فقد كتب في العقود الأربعة الماضية عدد هائل من الدراسات والبحوث تنتقد الاستشراق.

وفي الختام، هذه ملامح عامة لمشروع علمي متميز يكفي هذه الورقة أنها ذكرت بأهمية وتعدد أبعاد هذا المشروع على أمل أن يتصدى لهذا المشروع الباحثون والدارسون من الطلبة والأكاديميين لتفصيله ودراسة جزئياته لاستخلاص ما ينبغي استخلاصه منه.

---

1. المرجع نفسه.